محمود محمد طه

الإسلام والفنون

صفر ١٣٩٤ ـ مارس ١٩٧٤

الاهداء

الى المنفتحين على الله ،
السالكين اليه كل السبل ،
فانه ان من شيء الا وهو
الى الله سبيل ! !
« وان من شيء الا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ... »

بســـــم اللـــه الرحمـــــن الرحيـــــم

« تسبح له السموات السبع ، والارض ، ومن فيهن ٠٠ وان مـن شيء الا يسبح بحمـده ، ولكـن لا تفقهـون تسبيحهم ٠٠ انه كـان حليماً غفـورا ٠٠ »

صـــدق اللـــه العظيـم

المقـــدمـة :

هـــذه مقدمة كتاب « الاسلام والفنون » وهـو عبارة عـن متن محاضرة القيت علـــى طلبة « كلية الفنون الجميلة والتطبيقية » ، وضيوفهم ، وذلك فى يوم الثلاثاء ، ٢٤/٩/١٩٦٨ ٠٠ ولقـــد اخذت هـــذه المحاضرة عـــن الشريط ، وهى تجـرى بلغة الكلام ، لا بلغة الكتابة ٠٠ كذلك وردت فى الاصل ٠٠

ولقـد اسمينا هـذا الكتاب : « الاسلام والفنون » ٠٠ ولقـد كان من الممكن ان نسميه : « الفنون والاسلام » ، ولكننا آثرنا الاول لأن تقـديم كلمة الاسلام فيه توخ للحكمة التى توجب تقـديم الفاضل علـــى المفضول ، فذلك أمر لا معـدى عنه ، ولكننا كنا ، حين تعديناه فى فكرنا ، وحين هممنا بتسمية الكتاب علـى النحو المشار اليه آنفا ، كنا نعتذر عـــن هـذا الصنيع بخطتين اثنتين : كون هـــذا الكتاب يعنى ، فى المكـان الاول ، بالفنون ، ثم يضعها موضعها فى الاسلام ٠٠ هـــذه واحدة ، والثانية ان الفن ، والاسلام ، لصيقان ، وتوأمان ٠٠ وهـــذا يقتضى تعريف الفن ، وتعريف الاسلام ٠٠

الفـــن :

فأما الفن فقـد سبق لنا أن عـرفناه فى متن هـــذه المحاضرة ، وذلك حيث قلنـا : ان الفن هـــو وسيلة التعبير عـن ملكة التعبير ٠٠ وقلنا يومها ان ملكة التعبير انمـا هى الحياة ٠٠ والحياة تعبر عـــن نفسها بوسائل مختلفة ، فى مستويات مختلفة ٠٠ فهى تعبر عـن نفسها

بالحركة ، وتعبر عن نفسها بالغذاء ، وتعبر عن نفسها بالتناسل ، كما تعبر عن نفسها بالشعر ، وبالنثر ، وبالغناء ، وبالرقص ، وبالنحت ، وبالرسم ، وبالتصوير ، وبالتمثيل ، وبالموسيقى ، وبغيرها من ضروب الطاقة الفكرية ، والجسدية ، التى تفيض ، وتنبجس .. فهل يعنى هذا ان كل اساليب الحياة للتعبير عن نفسها فن ؟؟ نعم !! هذا على التعميم ، وفى جملة الامر ، صحيح .. بيد أن صور التعبير التى تمارسها الحياة البدائية تعتبر فناً فجاً ، وتزيد فجاجته كلما انحصر فى التعبير عن مجرد نوازع المعدة ، والجسد .. اننا لا نسمى اساليب الحياة ، فى التعبير عن نفسها ، فنا ، بالمعنى المخصص لهذه الكلمة ، الا اذا ما دخلت هذه الاساليب على مستوى التعبير عن القيمة ــ القيمة فى الحياة ــ واعلى قيم الحياة الحرية .. هناك الطاقة الحياتية ، وهناك الطاقة العقلية ، وانما بالطاقة العقلية دخلت القيمة فى الحياة .. فالفن انما هو تعبير الطاقة الحياتية عن نفسها من خلال مصافى العقول المرتاضة ، الصافية ، القوية الادراك .. الفن هو التعبير عن حياة الفكر ، وحياة الشعور ، فى آن معاً .. والطاقة الحياتية انما هى اصل الحياة ، فى سذاجة ، وبساطة .. وهى لا تفلسف ، ولا تتأنق ، ولا تحتفل ، حين تعبر عن نفسها .. واسلوبها فى التعبير اسلوب القصد الصريح ، فى ممارسة اللذة ، واجتناب الالم .. ولكننا نحن لا نعتبر اندفاعات الشهوة فى هذا المستوى فنا من الفنون .. وانما الفن تعبير الشهوة المحكومة بالعقل المهذب ، المروض المنضبط بقواعد الخلق الرصين .. وانما من اجل ترويض ، وتهذيب ، العقول حمدت مساعى الفنون ، فى صورها المختلفة ، وبأساليبها المختلفة .. وانما قيمة كل اسلوب من اساليب الفنون هى قيمة ما يقربنا من تلك الغاية .. وفى هذا المضمار يقع التفاوت بين أفانين الفنون ، وفيه أيضا يقع اختلافه

ما بين الفن والدين ـ الاسلام .. ومعلوم انه انما هو دائماً اختلاف مقدار .. ولقد تعرضنا لتعريف الفن فى الاسطر القليلة الماضية ، ولقد قررنا هناك أن الفن والاسلام لصيقان ، وهذا يعنى انهما وجهان لامر واحد .. هذا الامر الواحد انما هو الحياة .. فالفن اسلوب تعبير للحياة به يزيد عمقها ، واتساعها .. والاسلام اسلوب تعبير للحياة به يزيد عمقها ، واتساعها .. ولكن اسلوب الاسلام اشمل ، واعمق ، وابعد مدى ، من اسلوب الفنون .. ولقد وردت الاشارة الى الاسلوبين : اسلوب الفنون ، واسلوب الاسلام ، فى الاية الكريمة : « سنريهم اياتنا ، فى الآفاق ،وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق .. أولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟؟ » .. فهذه آيات الآفاق ، وآيات النفوس .. وهى جميعها موضوع الفنون ، وموضوع الاسلام .. فأما الفنون فانها تعنى بآيات الآفاق ، اكثر مما تعنى بآيات النفوس ، ولكن عنايتها بهذه غير غائبة .. واما الاسلام فانه يعنى بآيات الآفاق ، ويتخذها مجازاً الى آيات النفوس ، وعنايته بهذه ، وبخاصة فى اخريات مراقيه ، اكبر واعظم .. وللعلم التجريبى فى هذين مجال ، ولكنه ليس هنا بذى بال .. ويكفى فيه ان يقال : ان الفن ، والدين ، والعلم ، متداخلة ، والاختلاف بينها انما هو اختلاف مقدار ..

الاسلام :

وعند الاسلام آيات النفوس مقصودة بالاصالة ، وآيات الآفاق مقصودة بالحوالة ، بمعنى ان الانسان يعبر على آيات الظاهر ليصل الى فهم آيات الباطن ، فينسقها مع الظاهر حتى تستقيم له حياته ، وتتعمق ، وتتسع .. وفى الاسلام الظاهر انما هو ظل للباطن ـ الكون الظاهر انما هو الكون الباطن فى حالة بروز

وتجسيد .. والاسلام انما يعني الانقياد ، والاستسلام .. وهو يبدأ بمحاولة الحي ان يوجد نوعاً من العلاقة الحميمة بينه وبين البيئة الطبيعية التي يعيش فيها وذلك باقامة نوع من المصالحة ، والمصادقة ، والمودة معها .. أو نوع من التقية ، والمحاذرة ، والخشية منها .. ومن ههنا نشأت العبادة ، ونشأ العلم ، ونشأ الفن ..

ان الوجود المادى ، المحسوس ، انما هو لحن من الموسيقى العلوية .. هو لحن متسق ، منسجم ، مهذب ، لا نشوز فيه ، ولا شذوذ .. ونحن الآن انما نتعلم العلم لكى نستطيع به ان نسير بحياتنا فى مصاقبة ، وفى سلام مع هذا اللحن العلوى العظيم .. نحن انما نتعلم العلم الذى يعيننا على تنغيم حياتنا مع بيئتنا .. ولقد علمنا ان هذا العلم لن يكون علم الظواهر الطبيعية ، فحسب ، وانما هو علم الظواهر والبواطن — علم آيات الآفاق ، وآيات النفوس — وبواطن للظواهر تقول : ان الكون المادى ، المحسوس ، انما هو الإرادة الالهية جمدت ، وتجسدت .. ان الكون هو مظهر قدرة الله ، تبارك ، وتعالى ، فانه ، تبارك وتعالى ، عندما أراد اظهار المخلوقات احاط بها علماً ، باسمه العالم .. ثم خصص الصورة البدائية لظهورها ، وذلك باسمه المريد ، ثم أبرز هذه الصورة ، الى حيز المحسوس ، وذلك باسمه القادر .. وباسم القادر تم تجسيد العلم الالهى .. والعلم الالهى صفة قديمة ، قائمة بذات الله القديمة .. فما هو غيرها ، وانما هو هى ، فى مرتبة التنزل ، لتظهر ، لتعرف ..

ان البيئة التى نعيش فيها انما هى بيئة روحية تجسدت ، وكان من تجسيدها السموات ، والارض ، وما فيهما ، وما بينهما ، واصبح علينا ، لكى نعيش فى وئام مع بيئتنا ، ان نعلم ظاهرها — آيات الآفاق ، ونعلم باطنها — آيات النفوس .. قال تعالى ، فى ذلك ،

« سنريهم آياتنا ، فى الآفاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق .. أولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟؟ » ونحن ، من اجل هذا العلم ، نحتاج العلم التجريبى ، وهذا اكثر تركيزاً على الظواهر ، منه على البواطن .. بل هو يكاد يقتصر على الظواهر وحدها .. ونحن ، من اجل هذا العلم ، نحتاج الفنون ، بكل صورها ، وضروبها ، وهذه موزعة بين الظواهر والبواطن ، وتركيزها على الظواهر اعظم ، ودخولها فى البواطن غير موجه بالنهج الذى يضمن لها التغلغل فى هذه البواطن ، مما يزود الفنان بالقدر الكافى من علم اسرارها ، وانما هى تقتصر على الهامات نفس الفنان ، وموهبته ..

ونحن نحتاج الدين من اجل هذا العلم .. والدين يبدأ بالظواهر ، ويتخذها معبراً الى البواطن .. وهو انما يزيد تركيزه على البواطن كلما تمرس المتدين بمنهاج العبادة ، وكلما روض عقله ، وقلبه ، على ادب الشريعة ، وادب الحقيقة .. « أولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟؟ » اشارة الى الاستغناء بالبواطن عن الظواهر .. اشارة الى الاستغناء بالله عن جميع الخلق .. وذلك انما يكون عند الاستواء ، حيث لا يبقى ، فى الوجود ، غير العبد ، والرب — العبيد الآخرون موجودون ، ولكن وجودهم لا يتخذ وسيلة الى معرفة الله ، وانما معرفة الله وسيلتها ذاتها — هذه تبدأ عند نهايات البدايات ، ويطالع بها المصطفون ، الأخيار ، فى هذه الدار ، ثم لا تكون لنهاياتها نهايات ، وانما هو الترقى السرمدى ..

الموسيقى :

الموسيقى اسمى الفنون ، واعلاها ، واقدمها .. وهى ، فى حقيقتها القديمة ، هذا اللحن العلوى ، الذى تحرك فى سلمه السباعى ، يحكى

منازل الانسان وهو يسير فى طريق الاغتراب ، ثم يحكيها وهو يسير فى طريق الرجعى الى الوطن القديم .. هذه الحركة هى المحكية فى قوله ، تبارك ، وتعالى : « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم * ثم رددناه اسفل سافلين * الا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، فلهم اجر غير ممنون » .. فى هذه ثلاث الآيات جاءت صورة الاغتراب ، وصورة العودة من الاغتراب .. هذه الحركة ، فى الهبوط ، وفى الرجعى ، هى حقيقة الموسيقى .. وهى ، فى جميع مراحلها فى البعد والقرب ، ذات سلم سباعى .. مرحلتها الاولى ، فى طريق البعد ، الصفات السبع : الحى ، العالم ، المريد ، القادر ، السميع ، البصير ، المتكلم .. ومرحلتها الثانية الحواس السبع : القلب ، والعقل ، والسمع ، والبصر ، والشم ، والذوق ، واللمس .. ومرحلتها الثالثة النفوس السبع : الكاملة ، والمرضية ، والراضية ، والمطمئنة ، والملهمة ، واللوامة ، والأمارة .. ومرحلتها الرابعة الايام السبعة : الأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والاربعاء ، والخميس ، والجمعة ، والسبت .. ومرحلتها الخامسة السموات السبع : السماء السابعة ، والسادسة ، والخامسة ، والرابعة ، والثالثة ، والثانية ، والأولى .. ومرحلتها السادسة الأرضين السبع : الارض الأولى ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة .. ومركز هذه هو اسفل سافلين المشار اليه فى الآية الكريمة ، حيث قال ، جل من قائل : « ثم رددناه أسفل سافلين » .. وقد نزل الانسان هذه المنزلة فى مرحلة التنزل السابعة .. ثم انه استأنف سيره ، فى طريق الرجعى ، من هذا البعد السحيق .. ولقد جاءه الاذن بان يأخذ فى طريق الرجعى ، وذلك حيث حكى الله تبارك وتعالى عنه : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم .. » وانما

تاب عليه ليتوب — يعني ليرجع ..

وفي اسفل سافلين ، وهو مركز الارض السابعة ، كان آدم في ادنى درجات التجسيد — ذرة غاز الهيدروجين .. ثم انه استأنف سيره في طريق الرجعى فنزل المنازل المختلفة .. وحين دخل مرتبة المادة العضوية ، وظهر في حيوان الخلية الواحدة ، بدأت الحواس بحاسة اللمس (الحس) .. واطرد ترقيه حتى دخل مرتبة الحيوان السوي ، المكتمل .. وهذا معنى قوله تبارك وتعالى : « فاذا سويته » .. ثم اطرد ترقيه ، ودخل مرتبة البشرية ، وصار له عقل .. فذلك معنى قوله تعالى : « ونفخت فيه من روحي » .. ثم انه نزل منزلة التكليف ، حين صار له عقل ، وحين اصبح له في ملكوت الله ذكر ، بعد ان لم يكن .. فذلك معنى قوله تعالى : « هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً ؟؟ »

هذه هي الموسيقى في حقيقتها العليا .. هذا اللحن المنسجم ، المنسق ، المهذب الحواشي ، المنطلق في طريقي الصدور والورود — الصدور من موطنه الأول الى موطن البعد والاغتراب ، والورود من هذا البعد آيباً الى موطنه الاول من جديد بعد طول هذا الاغتراب ، وطول هذا البعد — هذا اللحن — هذه الحركة المحتشدة — هو الموسيقى في حقيقتها العلية .. وطريق الأوبة ، من اسفل سافلين ، الى الموطن الاول ، في احسن تقويم ، طريق مرسوم عبر الارضين السبع ، والسموات السبع ، في تعاقب الايام السبعة ، في مراقي القوس السبع ، والحواس السبع ، والصفات السبع ، الى مرتبة الانسان الكامل ذات المقامات السبعة ..

وفي اثناء طريق العودة ، ومن خلال تعاقب الايام السبعة ، نشأت العناصر المختلفة ، ثم نشأت الحياة ، ونشأت الأديان ، ونشأت

العلوم ، ونشأت الفنون ، وذلك فى الآماد السحيقة ، من الازمنة السحيقة .. ونحن ، فى هذا المجال الضيق ، لا يسعنا الا ان نقفز قفزة كبيرة ، نصل بها الى نهايات البدايات ، حيث الأديان والعلوم التى نألفها اليوم ، وحيث الفنون فى المستوى الذى نعرفه عن الكلمة المنظومة ، والكلمة المنثورة ، وحيث النحت ، والرسم ، والتصوير ، والغناء ، والرقص ، والموسيقى ، والتمثيل ، وبقية ضروب الفنون .. واعرق للفنون ، واعظمها ، واشرفها ، على اطلاقها ، الموسيقى .. وانما يجيء شرفها من امرين : احدهما ارتباطها بالاصوات ، والصوت لازمة لا تنفك عن الحركة ، والحركة اصل الوجود الحادث ، على اطلاقه .. وثانيهما انها تدرك بحاسة السمع .. وحاسة السمع اشرف الحواس السبع (ما عدا القلب والعقل) فهى تلى القلب ، والعقل ، وتجيء بعدها حاسة البصر ، ثم حاسة الشم ، ثم حاسة الذوق ، ثم حاسة اللمس (الحس) .. ويجيء شرف حاسة السمع على حاسة البصر ، وبقية الحواس الاخرى ، من سعة ما تؤدى الى العقل من معلومات ، والى القلب من احاسيس .. هذا ما من اجله قدم السمع على البصر فى سائر آيات القرآن ، واعطى منزلة الشرف فيها ..

السمع يتأثر بالاصوات ويؤديها الى العقل ، والقلب .. والاصوات هى الأكوان جميعها ، المرئى منها ، وغير المرئى ، والمسموع منها ، وغير المسموع .. فانه ما من شيء فى الكون الحادث الا وهو فى حركة لا تنقطع ، حتى اكثف المواد التى نراها ، ونعرفها ، فانها ، فى الحقيقة ، مهلهلة ، مخللة بفجوات تتحرك فيها ذرات تكوينها حركة متصلة كما تتحرك ذرات البخار فى السحابة « وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهى تمر مر السحاب .. صنع الله الذى اتقن كل شيء .. انه خبير بما تفعلون .. » وكل متحرك لابد مصوت ، ولكننا

نحن لا نسمع الا قطاعاً خاصاً ، وصغيراً جداً ، من اصوات هذه العناصر المتحركة .. ان ما نسمعه منها بالنسبة الى ما لا نسمعه كالنقطة من المحيط بل هي اصغر .. ولقد قيدنا بعض الاصوات التي نسمعها فيما سمي بالحروف الرقمية وهي ، عندنا في اللغة العربية ، ثمانية وعشرون حرفاً ، هي الحروف الأبجدية المعروفة ، هذا اذا لم نعد لام الألف والهمزة المقطوعة .. وهناك كثير من الأصوات التي نسمعها لا تخضع في ضبطها للحروف الرقمية .. وجاء تسجيل الموسيقى للأصوات بصورة أوفى من تسجيل الحروف الرقمية .. وهو ذو سلم سباعي هدفه دقة التنغيم في الانتقال بين مستويين من مستويات الصوت ، وكأنه ، في ذلك ، حكاية لأطوار الخلق السبعة التي سبقت الاشارة اليها ، في امر الصفات ، والحواس ، والنفوس ، والسموات ، والأرضين ، والايام .. وغرض الموسيقى من اللحن المنغم ، المتسق ، المهذب الحواشي ، ان توجد في داخل النفس البشرية نوعا من التنغيم ، والاتساق ، والتهذيب ، يحل محل التشويش ، والنشاز ، الذي يعتمل فيها .. هذا هو السر في الراحة التي تجدها النفس عند الاستماع الى قطعة من الموسيقى الراقية ، ومع ذلك فان الموسيقى ، في جميع مستوياتها ، قاصرة عن تأدية هذا الغرض ، الا لفئة قليلة جداً من الناس .. وهي ، حين تؤديه انما تؤديه في حد ضيق جداً وذلك يرجع لسببين رئيسيين ، أولهما : ضيق نطاق الاصوات الذي تعمل فيه الموسيقى ، اذا ما قورن بالاصوات من الحركات التي هي موروث النفس البشرية في منازلها المختلفة التي اوردنا اليها الاشارة آنفا .. وثانيهما هو أن الموسيقى لا تملك منهاجاً يقوم بترويض النفس البشرية ، وتدريجها ، حتى تستطيع ان ترتفق بالموسيقى الراقية فتحقق بسماعها قدراً من التنغيم الداخلي ،

والمواءمة ..

القـــرآن هـــو الموســـيقى :

القـــرآن المقروء ، والمحفوظ بين دفتى المصـــحف الشريف ، قـــد حـــوى جميع الاكوان القـــديمة ، والحديثة .. وهـــو هـــو اللحن العلوى الكبير ، المنطلـــق برسم طريق صدور الانسان ، مـــن منبعه ، وطـــريق رجـــوعه ، الى مصبه ــ الـــذات الالهية ــ حواها ، وحـــوى حـــركاتها ، فلم يغادر منها شيئا .. يقال تعالى ، فى الاشارة الى ذلك : « ووضع الكتاب ، فترى المجـــرمين مشفقين مما فيه ، ويقـــولون : يا ويلتنا !! مال هـــذا الكتاب لا يغـــادر صغيرة ، ولا كبيرة ، الا احصاها .. ووجـــدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك احـــداً .. » معلوم ، لـــدى المعنى القـــريب ، ان الكتاب المقصود هنا هـــو كتاب اعمـــال الافراد .. ولكـــن ، لدى المعنى البعيد ، فـــان الكتاب هـــو القرآن .. وهـــو لا يغادر صـــغيرة ، ولا كبـــيرة ، فى ذرات ، واجرام ، الاكوان الا احصاها ، قيداً وشـــمولا .. وفى نفس هـــذا المعنى يرد الحوار الـــذى جرى بين فرعون وموسى : « قال فمن ربكما يا موسى ❊ قال ربنا الـــذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى ❊ قال فما بال القرون الاولى ❊ قال علمها عند ربى فى كتاب .. لا يضل ربى ولا ينسى .. » فان هـــذا الكتاب انما هـــو القرآن .. والقرآن انما رصد سير موجة الاكوان ، العلوية والسفلية ، وفى مقدمتها الانسان ــ رصدها بين الصدور والورود الى المنبع الذى منه صدرت ــ لأنه انما هو كتاب تسليك وهداية .. وفيـــه يقول تعـــالى : « وقلنا يا آدم اســـكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منهـــا رغداً حيث شئتما ، ولا تقربا هـــذه الشجرة فتكونا مـــن الظالمين ❊ فازلهما الشيطان عنها ، فاخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا : اهبطوا !! بعضكم لبعض عـــدو ، ولكم فى الارض مســـتقر ، ومتاع ، الى حين ❊ فتلقى آدم مـــن ربه كلمات ، فتاب

عليه .. انه هـــو التواب الرحيم * قلنا اهبطـوا منها جميعاً !! فاما يأتينكم منى هـدى ، فمن تبع هـداى فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ...» هـــذه هى لمحة مـــن قصة اكتمال الخلقة ، واكتمال التقويم ، « يا آدم أسكن انت وزوجك الجنـة ، وكلا منها رغداً حيث شئتما » وهى قصة الخـروج فى طريق البعد « قلنا اهبطوا !! » ، وهى قصة الصـراع فى موطن البعـد ، والاغتراب ، « بعضكم لبعض عدو » وهى قصة أجـل الاغتراب ، فى موطن الاغتراب ، « ولكم فى الارض مستقر ، ومتاع ، الى حين » .. ثم هى قصة الاذن بالعـودة الى الوطن القديم « فتلقى آدم مـن ربه كلمـات ، فتاب عليه » .. ومن باب التوبة اهداء طريق العودة الى الوطن القديم «فاما يأتينكم منى هـدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » .. وهذا الهدى انما هـو القرآن : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » .. ومعنى ما فى هـــذه الآيات الكـريمات هـــو ما ورد فى قوله تعالى فى سورة والتين : « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * الا الذين آمنـوا ، وعملوا الصالحات ، فلهم أجـر غير ممنون .. » ولا تتم الهداية ، فى طريق العودة بالقـرآن ، لجميع الخلائق ، فى دار واحدة ، فان منهم مـن تبدأ هدايته فى الدار الدنيا ، ومنهم مـن تبدأ هدايته فى الدار الاخرى .. وكلهم مصيره الى السير السرمدى علـــى طريق الرجعى الى الله ، فانه ما مـن الله بد .. « يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه » ..

لقد تحدثنا فى متن المحاضرة ، عن ان الاصل فى صناعة الأوتار التى تنقل الالحان ، انما هى تجربة بخيط ، يثبت فى طرفيه ، ثم ينقر ليتذبذب بكليته ، وترصد ذبذبته ، ثم يقسم الى نصفين ، وينقر كل نصف ، ثم يقسم الى أثلاث ، والى أرباع ، وهكذا .. وترصد ذبذبة كل جـزء .. هكذا الشأن فى القـرآن ، فان الوتر الـذى يعـزف فيه لحنه مشـدود بين

طرفى الصـــدور والورود ، وتتحرك فيه نقطـــة ، تمثلها ، فى الوتر الموســـيقى ، النقطـــة التى تقسم الخيـــط الى اثلاث ، وارباع ، واثمان •• الخ الخ •• فالطـــرفان المشدود بينهما وتر القـــرآن هما : الذات لدى الصدور (الحقيقة العبدية) ، والذات لدى الورود (الحقيقة الالهية) « ان مثل عيسى ، عند الله كمثل آدم ، خلقه مـــن تراب ، ثم قال له كن فيكون * الحـــق من ربك ، فلا تكن من الممترين •• » ثم بدأ تحرك الحـــق ، تنزلا مـــن الحقيقة ، فى منازل البعد ، منزلة ، منزلة ، فى سلم ســـباعى ، حتى نزل الحـــق منزلة اســـفل سافلين •• وهـــذا التنزل ، فى طـــريق البعد ، هـــو ما وردت اليه الاشـــارة بقـــوله تعالى : « ثم رددناه أسفل سافلين » •• ومنزلة اسفل سافلين منزلة حـــق •• فما هى بمنزلة باطل ، الا فى حكم الشريعة •• والحق دائماً نسبى ، والحقيقة مطلقة •• والحق يتحرك يطلب الحقيقة ، وهو يدخل مداخلها كلما تخلص مـــن طـــرف الباطل الذى اقام عليه حكـــم الشرع •• ونحـــن ، لطـــرف التنزل مـــن المصـــدر الى منزلة اســـفل سافلين ، لا نعطى مجـــالا فى مقدمتنا هـــذه ، وانما نعطى كل اعتبارنا لطرف العودة الى المصدر من منزلة أسفل سافلين •• وانما ذلك لمكـــان الارادة البشرية فى هـــذا الطرف ، وانعدامها فى ذلـــك •• ولم تجىء الارادة البشرية فى طـــرف الورود ـــ السير فى مراقى القرب ـــ الا فى وقت متأخـــر ، ولكنها ، مـــع ذلك ، قـــد اعطت هـــذا الطرف منزلة الشرف على طرف التنزل •• والموسيقى القرآنية التى تهمنا الآن ، انما هى معزوفة علـــى الوتر المشـــدود بين اسفل ســـافلين ، وبين الحقيقة الالهية ، فى أول نقطـــة الورود •• فى هـــذا المضمار يـــرد الترقى بوسائل الشريعة ، ووسائل الطـــريقة ، ووسائل الحقيقة •• وهـــذان الطـــرفان (الحقيقة الالهية ، واســـفل سافلين) نقيضان ، أو قـــل : ضدان ، أو قل : زوجان •• وكما ان الموســـيقى حركة بين طرفين ،

تريد أن تملأ الفراغ بالنغم المنسجم ، المتسق ، فكذلك العبادة ، هى محاولة لملء الفراغ بين طرفين بتحرك منسق ، ومهذب ، من الطرف الأدنى الى الطرف الاعلى ، من غير قفزات ، ولا نشوز ، ولا اضطراب .. وهذا وجه من الشبه كبير بين اللحن الموسيقى ، فى الموسيقى ، واللحن الموسيقى ، فى حياة الحى ، العاقل ، السالك .. وانما جاء القرآن بموسيقاه التى ذكرناها ليرشد السالكين فى طريق عودتهم ، من الاغتراب الى الوطن — من البعد الى القرب — أو قل : من الادنى الى الاعلى ، أو قل : من الحيوانية الى الانسانية .. « الم ❊ ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين .. » .. والضدان ، أو قل : الزوجان هما أصل الوجود الحادث « ومن كل شىء خلقنا زوجين ، لعلكم تذكرون ❊ ففروا الى الله ، انى لكم منه نذير مبين » .. وانما خلق الله ، فى الوجود ، الزوجين .. لنفهم عنه نحن لأن عقولنا لا تميز الاشياء الا باضدادها .. فنحن لا نعرف الحلو الا بوجود المر ، ولا نعرف الخير الا بوجود الشر ، ولا نعرف الحياة الا بوجود الموت ، ولا نعرف النور الا بوجود الظلام .. فكل شىء قد خلق زوجين اثنين « سبحان الذى خلق الازواج كلها : مما تنبت الارض ، ومن انفسهم ، ومما لا يعلمون .. » وفى قمة الازواج : الله والانسان الكامل .. والى هذا الاشارة بقوله تعالى : « ومما لا يعلمون » .. وفى سيرنا فى العوالم انما نحن سائرون الى الله — انما نحن مرتفعون من الادنى الى الاعلى — نستعين ، فى سيرنا ، بالتمييز المستمر الذى تروض عقولنا عليه الازواج المختلفة ، فى الموجودات المختلفة ، اذ نحن مامورون بالسير من الموجودات الى الموجد ، ومن الاكوان الى المكون ، « ففروا الى الله ، انى لكم منه نذير مبين » .. وانما انزل الله القرآن ليعيننا على تسديد ،

وترشيد ، فرارنا هـــذا ، من كل ما سوى الله ، الى الله ..

ولقـــد استعمل القرآن فى موسيقاه الحرف ، واستعمل الكلمة .. استعمل الكلمة فى دقة مـــن المعانى معجز ، وفى جمال مـــن التركيب معجـــز ، وفى لحـــن مـــن النظم الفنى يبعث فى النفس الطـــرب ، والنشاط ، والرغبة فى التكرار الـــذى لا يمل .. ولم يستعمل القـــرآن الحروف الا بعـــد ان استنفد وسع الكلمات .. وهـــو انمـــا استعمل الحـــــروف ليخبرنا ان معانيه اكبر مـــــن ان تؤديها الكلمـــات ، مهما طوعت .. وتبدأ الحـــروف ، علـــــى ذلك ، بعد ان تعجز الكلمات .. ولقـــد استعمل القـــرآن اربعة عشر حرفاً ، من الحـــروف الأبجـــدية الثمانية والعشـــرين ، فى افتتاح تســـــع وعشرين ســـورة ، علـــــى اربع عشرة تشكيلة .. ومعانى الحـــروف عنده تنزل فى ثـــلاث مراتب : مرتبة الحـــــروف الرقمية ، وهـــذه هى الثمانية والعشرون حـــــرفاً المعروفة فى أبجدية اللغـــة العربية .. وأعلـــى منها مرتبة الحـــروف الصوتية ، وهـــــذه تتعلق بالأصوات .. والاصوات بدورها تتعلـــق بالحـــــركات .. ولقـــــد قررنا ان جميع ذرات الوجـــود فى حـــركة لا تنقطع .. فهى اذن مصوتة ، واصواتها لا تنقطع .. فنسبة الحروف الرقمية الى الحروف الصوتية كالقطرة الى المحيط .. ثم أوسع مـــــن هـــذه ، وتليها فى الرفاعـــة ، مرتبة الحـــروف الفكرية .. وحـــركة الفكر اسرع مـــن حـــركة المادة ، فى الطف صورها ــ الضوء .. حركة الفكر اسرع مـــن سرعة الضوء .. فالحروف الفكرية تكـــاد فى سعتها تلحق بالاطلاق .. وهى ، فى الحقيقة ، تقف علـــــى عتبة الاطلاق .. فعندما يتناهى الفكر فى الحـــركة يعجز عـــــن الحركة ، ويتوقف .. وفى نقطة توقفه يبدأ الاطلاق .. وهـــــذه النقطة هى قمة ما توصـــل اليه اشارة القرآن .. فالقـــرآن ، فى جملة ما تؤدى كلماته ، وحروفه ، ليس هـــو عبارة عـــــن الذات ، وانما هـــــو مجـــــرد اشارة الـــى

الذات .. فالذات فوق العبارة ، وهى ، فى الحقيقة ، فوق الاشارة .. فغاية ما تؤدى اليه موسيقى القرآن هى توصيلنا الى عتبة الذات ، ثم تخلى بين حياتنا ، وبين الحياة السرمدية ، الخالدة ، التى لا تحيط بها العبارة ، وتقصر عنها حتى الاشارة .. (راجع الرسالة الثانية من الاسلام) ..

فقمة ما تؤدى اليه موسيقى القرآن اذن هو قمة ما تنتهى اليه الحروف الفكرية .. وانما تنتهى الحروف الفكرية الى حالة التوقف ـ الى حالة عجز الفكر عن التفكير ـ وذلك ما سمى ، عند الصوفية ، بحالة العجز عن الادراك ، وقد قالوا فيه : العجز عن الادراك ، ادراك .. وهو بعينه ما يعرف عندهم بحالة الحيرة .. وعن هذه الحالة يقول سلطان العاشقين ابن الفارض :ـ

زدنى بفرط الحسن فيك تحيرا * وارحم حشى بلظى هواك تسعرا ..

وهذه الحالة هى حالة الوقوف على عتبة الذات .. وانما يحار الفكر فيها لانقطاع الضدية عنها .. فهى أحدية الصفة ، وترية الوجود .. وفى هذا المستوى يبلغ الفكر ذروة قوته ، واستحصاده .. ويبلغ القلب ، تبعاً لذلك ، قمة رحابته ، وسلامته .. ويبلغ الحى بهذين قمة حياة الفكر وحياة الشعور .. وهذه هى الحياة التى ينتهى اليها الترقى فى الصفات السبع ، التى هى صفات الهية ، وقد وردت الاشارة اليها فى أول المقدمة ، وهى : الحياة ، والعلم ، والارادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام .. هذا باعتبار التنزل ـ باعتبار السير فى طريق البعد ـ أما باعتبار المعراج ـ باعتبار السير فى طريق الرجعى من البعد الى القرب ، ومن الاغتراب الى الوطن ، فهى تتصعد هكذا :ـ الكلام ، فالبصر ، فالسمع ، فالقدرة ، فالارادة ، فالعلم ، فالحياة .. وهذا هو اتجاه موسيقى القرآن الذى سقناه الى عتبة حيرة الفكر ..

ان الفكر لهو الاكسير الذى به تتسع الحياة ، وتتعمق .. وهو ، من أجل ذلك ، وظيفة القرآن الاولى .. ولقد قال تبارك وتعالى فى ذلك « وما أرسلنا ، من قبلك ، الا رجالا ، نوحي اليهم ، فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * بالبينات ، والزبر .. وانزلنا اليك الذكر ، لتبين للناس ما نزل اليهم .. ولعلهم يتفكرون » .. « وانزلنا اليك الذكر » يعنى القرآن كله « لتبين للناس ما نزل اليهم » وهو القدر من القرآن الذى يطيقونه ، ويحتاجونه ، تبينه بالتشريع ، وبالتفسير .. « ولعلهم يتفكرون » يعنى ان الغرض من ارسال الرسول ، ومن انزال القرآن ، ومن تبيينه بالتشريع وبالتفسير ، هو ان يتفكر الناس ، وان يقوى تفكيرهم بالرياضة ، وبالمرانة فى العبادات .. ولقد افادت الآية السابقة لهذه نفس المعنى .. فكأنما جميع رسالات السماء ، وجميع كتب السماء ، مطوعة لترويض الفكر .. فالفكر هو خادم الحياة القوى ، الأمين .. ولقد سايرت موسيقى القرآن الفكر ، من لدن اسفل سافلين — من لدن بروز الانسان فى المادة غير العضوية (ذرة غاز الهيدروجين) ، حتى بلغت هذه المادة غير العضوية مرتبة المادة العضوية ، ببروز حيوان الخلية الواحدة ، وما انفكت تسايره ، وتتعهده ، وتمخضه ، من حياة الحى ، كما تمخض الزبدة من اللبن ، حتى بلغت به طور البشرية الحاضرة .. وهى لن تنفك تسايره ، وتتعهده ، وتروضه ، وتهذبه ، حتى تبلغ به مرتبة الانسان الكامل .. وهيهات !!

لقد قررنا ان موسيقى القرآن معزوفة على وتر مشدود بين طرفين ، وتتحرك فيه نقطة .. وقررنا ان هذين الطرفين هما : الباطل ، والحقيقة .. وقررنا أن الباطل ليس باطلا مطلقاً ، وانما هو ادنى منازل الحق .. وقررنا أيضا أن النقطة التى تتحرك انما هى الحق ، متطوراً نحو الحقيقة ، منطلقاً من ادنى منازله .. ونقرر هنا

ان هـــذه الهيئة انما هى هيئة الفكر .. فالفكر حـركة بين طرفين ، هما : الذاكرة ، والخيال .. فكأنما الهيئة هيئة ثالوث ، علـــى الطرفين النقيضان ، ويتحـــرك بينهما متحـرك هدفه التوحيد بين النقيضين ففى ذلك اكتماله ، واستواؤه .. فالفكر يبلغ اقسوى ما يكون حين يستوى علـــى خـط الاستواء بين هـذين النقيضين ــ الذاكرة والخيال .. وعندما جعلت وظيفة القـرآن ترويض هـــذا الفكر ، وتهذيبه ، جعل خير ما فيـه الكلمة « لا اله الا الله » .. ولقـد جاءت لا اله الا الله بين النفى « لا » ، والاثبات « الا » ، فلكأنها تقرر أن الحـق ، اقوى ما يكون الحـق ، لا هـو الى طـرف النفى ، ولا هـــو الى طـرف الاثبات ، وانما هـــو « بين بين » .. ونقطة « البين بين » هى نقطة الاستقامة التى قال عنهـا المعصوم :ــ « شيبتنى هود واخواتها » ، وذلك فى قوله تبارك وتعـالى من سورة هود « فاستقم ، كما امرت ، ومـن تاب معـك ، ولا تطغوا .. انه بما تعملون بصـــير » .. ففى تحقيق الاستقامة تدريج الفكر ، وتهـذيبه ، وتقويته ، وتحييده عـــن الميل لأى مـــن الطـــرفين اللذين يتجـاذبانه .. وهـذه هى وظيفـة تحقيـق التوحيد ، بكلمة التوحيد « لا اله الا الله » .. وانما مـــن اجل تحقيقها جاءت عبادات الاســلام ، وعاداته .. جاءت الصـــلاة بحضرتيها ــ حضرة الاحـــرام ، وحضرة السلام ــ ولقـد فرضـت الصـــلاة فـوق السموات السبع .. وجعلت حـركات الركعة سـبع حـركات .. وجعل السجود ، الذى هـو قمة حـركات الصلاة ، علـى سبعة عظام ، مـــن عظام الجسد .. فهـــذه الحركات « السباعية » هى بسبيل مـن منازل الحـركات السبع ، التى اكثرنا ذكرها فى حديثنا فى هـــذه المقدمة ، حتى لقـــد تحـدثنا عـــن السلم السباعى فى الموسيقى ..

وبمناسبة سلم الموسيقى السباعى ، فان حركة الفكر أيضا تسير فى

سلم سباعى ** لقد سبق ان قررنا ان الفكر يتحرك بين طرفين ، هما : الذاكرة ، والخيال ** ونحن لا نخرج عن هذا المعنى اذا قررنا ان هذين الطرفين ، هما : الماضى ، والمستقبل ** فجولان الفكر بين طرفى الذاكرة (الماضى) والخيال « المستقبل » يعزف على سلم سباعى ، هذا السلم السباعى يعرف عند السادة الصوفية بمراتب النفوس السبع ** وهى : النفس الأمارة ، والنفس اللوامة ، والنفس الملهمة ، والنفس المطمئنة ، والنفس ، للراضية ، والنفس المرضية ، والنفس الكاملة ** ومراتب النفوس هذه انما هى طبقات العقل ، وهى هى طبقات النفس ، فى عين الوقت ** فالاطراف اللطيفة من مراتب النفوس هى مراتب عقول ** اذا الفرق بين العقل والنفس الا الفرق بين الارادة والشهوة ** فللعقل الارادة ، وهى مسيطرة ، وللنفس الشهوة ، وهى مقهورة ، ومروضة ، عند العقلاء العارفين ** فالعارف لا يتحرك عن شهوة ، وانما يتحرك عن ارادة **

وجولان الفكر بين الماضى والمستقبل انما يبتغى ان يعيش صاحبه فى اللحظة الحاضرة ، لان اللحظة الحاضرة هى وحدها الزمن الحقيقى ** والذى يعيش فيها وحده هو الذى يحيا الحياة الكاملة ، الخالدة ** هل تدرون لماذا نجد المتعة فى الفنون ؟؟ لانها تريح فكرنا من الذبذبة بين الماضى والمستقبل ، وتتيح لنا فرصة العيش فى اللحظة الحاضرة ** هذه خاصية فى جميع الفنون ، تتفاوت فيها بضروبها المختلفة ، مع الاشخاص المختلفين ** فانت اذا سمعت قطعة موسيقية راقية ، أو شهدت فيلما سينمائيا جيد الموضوع ، متقن الأداء ، فانك تظل مشدوداً الى الشاشة مثلا ، منحصراً فى تسلسل صور الممثلين ، ومنشغلا بادائهم ، بجمعية لا تبقى لك فرصة للتوزع بين الماضى والمستقبل ، حتى لكأن الزمن قد توقف ، فى حقك ، فى تلك اللحظة التى تعيشها ، وهى لحظة تكاد أن تكون خارج الزمان **

الانتصار علـــى الزمن الـــذى تحققه لنا الفنون الجميلة هـــو أس سعادتنا بها ، ومن ثم هـــو أصل تعلقنا بها .. هـــذا الانتصار على الزمن هـــو الحكمة فى مشروعية الصلاة ، التى هى أعلى العبادات .. ولقـــد قررنا انها فرضت من فوق السموات السبع .. ونقرر هنا انهـــا فرضـــت فى موضعين ، على مستويين .. فاما الصـــلاة الفرعية ، وهى المعـــروفة بالصلاة الشـــرعية ، فقـــد فرضت فى موضع مقـــام قـــاب قوســـين أو ادنى : « ثـــم دنا فتـــدلى * فكـــان قاب قوســـين أو أدنى » .. وهـــذا مقام شفعية ـــ شفع جبريل فيـــه النبى .. وهى ، لمكان الشفعية هـــذه ، قد جاءت مرهونة بمواقيت : « ان الصلاة كانت علـــى المؤمنين كتاباً موقوتا » ، يعنى « فرضاً » له أوقات يـــؤدى فيها .. وأما الصلاة الأصلية فقـــد فرضت فى موضع مقام مازاغ البصر وما طغى : « اذ يغشى السدرة ما يغشى * مازاغ البصر وما طغى » ، وهـــذا مقام وترية .. تمت الوترية فيـــه للنبى بتخلف واسطته عنه ـــ جبريل ـــ اذ ليس لـــه ههنا مقام .. وانما دل علـــى وترية هذا المقـــام وصف الله حـــال النبى فيـــه بقوله تبارك مـــن قائل : « مازاغ البصر وماطغى » .. و « البصر » ههنا « الفكر » .. و (مازاغ) يعنى ما انشغل بالمـــاضى .. «وما طغى» يعنى ما انشغل بالمستقبل ، وانما توقف فى لحظته الحاضرة .. فكأن النبى قـــد توحد ههنا ، حتى لقـــد اصبح وحدة ذاتية ، فى وحدة مكانية ، فى وحدة زمانية .. وتدق هاتان الوحدتان حتى انهما لتخرجان عـــن المكان والزمان .. ومـــن ههنا فقـــد تمت لـــه رؤية مـــن لا يحويه المكان ولا الـــزمان .. ولمـــا كانت هـــذه الصلاة فى مقام الوترية فانها ليست مرهـــونة بميقات .. وانما مواقيتها الانفاس الصاعدة والهابطة .. ولقـــد قال النبى عـــن الصلاة الفرعية : « الصلاة معراج العبد الى ربه » .. وعـــن الصلاة الاصلية : « الصلاة صلة بين العبد وربه » .. فجعلت الصلاة الشرعية

سلماً يرقى بانقانه المصلى الى مرتبة الصلة ، حتى يكون فى حضرة دائمة مع ربه .. راجع (رسالة الصلاة) و « تعلموا كيف تصلون »

معلوم أن الصلاة الشرعية تبدأ بداية هى من البساطة بحيث يطيق أداءها باحسان اقل الناس ذكاء .. وهذه الصلاة تشكل قاعدة الهرم الذى قمته فى صلاة الصلة .. فاذا وضح ان الصلاة هى موسيقى القرآن ـ ولقد حاولنا توضيح ذلك فى مقدمتنا هذه ـ فان هذه الموسيقى ، اذا ما قورنت بالموسيقى المعروفة لدينا فى الفنون ، فان المقارنة لا تنهض ، وتنقطع ، من جميع الوجوه .. والانشغال بها ، وبضروب الفنون الاخرى ، بخاصة للمبتدئين ، انشغال بخلاف الأولى ، وتقديم للمفضول على الفاضل ، ومضيعة للوقت فى غير وجه حكيم .. وهذا ما من اجله حرمت الفنون فى الاسلام ، فى المرحلة .. أما للمنتهين المستوين على الجادة فى نهايات السلوك ، فانها غير محرمة ، على النحو الذى بينا ، فى متن المحاضرة .. ذلك لأن المستوين على الجادة من اصحاب النهايات يعرفون كيف يعطون كل مقام مقاله ، وكيف يرتفقون بجميع الاحياء والأشياء فى السير الى الله .. والى هؤلاء تقدمنا باهداء هذا الكتاب ، ولقد قلنا فى صيغة الاهداء :ـ

الى المنفتحين على الله ،
السالكين اليه كل السبل ،
فانه ان من شىء الا وهو
الى الله سبيل !!
« وان من شىء الا يسبح بحمده ،
ولكن لا تفقهون تسبيحهم .. »

وأما المبتدئون فانا ندعوهم الى أن يعبدوا بذكاء ، مبتدئين من الصلاة الفرعية ـ صلاة المعراج ـ الصلاة الشرعية المعروفة ـ سائرين

في تقليد المعصوم باتقان ، وبـــذهن مفتوح ، في ســـنة عبادته ، وفيما يطيقون مـــن سنة عادته •• انهم ، ان يفعلوا ذلك ، يرتقوا ، كل يوم جديد ، درجة جديدة مـــن درجات القرب من الـــذات العلية ، ويتهيئوا ليسمعوا تسبيح المسبحين بحمد رب العالمين ••

أما بعد فان هـــذه المقدمة قد طالت ، وانا لنجـــد مجال القـــول فيها ذا سعة •• ولكن المجال ، والزمن ، لا يسعفان •• فلنقبض عنان القلم •• ولنضرع الى الله أن يهدينا ، وأن يهـــدى بنا ، وأن يعلمنا ، وأن يعلم بنا •• انه نعم المولى ونعم النصير ••

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

متـــن المحـــاضرة

نبدأ حديثنا عن : « الفنون والاسلام » ، أو . « الفنون فى نظر الاســـلام » .. ولابد مـــن الاشارة الى المقدمة الطيبة ، البليغة ، التى تكـــرم بها السيد رئيس الجلسة .. فهى فاتحة خير ، أن شـــاء الله ، لحديث نرجو ان يرفـــع نظر الناس لمـــا تدخره لهم السماء مـــن سعة فى حياة الفكر ، وسعة فى حياة الشعور .. وما مـــن شك أن الحـــديث عـــن الفنون يفتح هـــذه السعة ، فى الفكر ، وفى الشعور ـــ يفتح باب الفكر علـــى مصراعيه .. وخاصة اذا ما قرنت الفنون بفيض الســـماء ، فى القرآن ، وفى الاسلام .. ولذلك فقد كنت سعيداً جداً ، لأجد هـــذه الفرصة ، لا تحدث لهـــذا المستوى مـــن المستمعين ، فى موضوع هـــو أصل ما قام عليه الفكـــر ، وما قامت عليه الحياة ، فى مدى ما عـــرف الانسان الفكر والحياة ..

مـــا هى الفنون ؟

والفنون هى عبارة عـــن وسائل التعبير عـــن ملكـــة التعبـــير فى الانسان .. وملكة التعبير فى الانسان أعمـــق مـــن مجرد انهـــا عمل فكـــرى ، هى فى الحقيقة الحيـــاة .. ملكة التعبير فى الانســـان هى الحياة .. وكل حى معبر ، حتى فى حيواته الدنيا .. وتعبيره بالحيـــاة فى الحياة ، هـــو حياته نفسها .. الحى عندما يأكـــل ، الحى عنـــدما يتناسل ، الحى عندما يفر مـــن الالم ، ويحاول تحصيل اللذة ، هـــو فى كل أولئك معبر .. هـــو معبر فى حياته بحياته ـــ هو كليته تعبير .. ثم نحـــن ، بطبيعة الحـــال ، لا نطلق عبـــارات الفنون على الحياة فى درجاتها الدنيا ، حيث تعبر بكينونتها كلها ، وانما نطلق عبارات الفنون علـــى وسائل التعبير ، عـــن ملكـــة التعبير ، فى الفكر ـــ فى الـــذهن

البشرى .. الانسان يمكن ان يرى ان ارتفاع الانسان ، فى سلم الفكر ، عن الحيوات التى دونه ، من الحيوات العليا ، أنما هو ارتفاع مقدار ، وليس ارتفاع نوع .. الانسان ، فى درجات ، واطوار ، تعبيره عن وجوده ، عندما تغشته الحيوات السفلى ، كان يعبر بلسان حاله ، زى ما دايما يقال فى التصوف ، فى عبارة بالمقال ، وفى عبارة بالحال .. فالحى ، قبل أن يكون عنده عبارة باللسان ، وهو ما امتاز بيهو الانسان فيما بعد ، بيسمى معبر بلسان حاله .. بعدين ظهر الانسان ، واصبح منقسم ، بين التعبير بلسان الحال ، وهو التعبير القديم ، الذى ورثه عن الحياة الدنيا ، وبين العنصر الذى جد بظهوره ، وهو التعبير بلسان المقال .. وفى المستوى دا الفنون خدمتها كبيرة لي آخر درجة للانسان .. الغرض منها ان ترتفع بعقله ، تفتق عقله ، تزيد من حيله ، وتضبط تفكيره ، تدقق تفكيره ، تفتح مجال تخيله ، وعاطفته الى الحد الممكن يرتفع بيه عقله حتى يكون تعبيره بلسان المقال فى مساواة تعبيره بلسان الحال ، الكان قبيل فى بدنه .. نحن باستمرار عقلنا بينمو .. عقل احدنا وجسده كانما فى كفتى ميزان .. نحن فى وضعنا ، اجسادنا عارفة .. دى نقطة افتكر كثيرا ما تجهل .. الاجساد عارفة ، الاجساد لا تخطىء ، ولكن تخطىء العقول .. نحن ، بوسائل التعبير والتمرين ، عاوزين نرفع عقولنا الى درجة الانضباط ، الذى به لا تخطىء ، حتى لكأننا بنحاول أن نوزن كفتى الميزان ، كفة اجسادنا مع كفة عقولنا .. اذا استطعت انت ان ترى فان كفة واحدة شايلة ، والكفة الثانية نازلة .. ولكن باستمرار عقولنا بتنمو ، حتى اذا استقام الميزان بالقسط ، تبقى عقولنا لا تخطىء ، كما ان اجسادنا لا تخطىء . عبارة ان :الاجساد لاتخطىء ، انا افتكر بتحتاج الى شىء من الشرح الزائد .. لكنى لا انوى ان اشرحها فى المقدمة .. باتركها للنقاش ، فيما بعد .. لكن

أوكد لكم انها نقطة مجهولة تماماً ..

الصـــــورة أصـــل الفنـــون

الفنون كثيرة ، ما نعرف منها ، وما سنعرف ، كل مرة ، كثيرة — **الكلمة فى الشعر** ، أو النثر ، الصورة بالفوتوغـرافيا ، أو باليـد ، الموسـيقى ، النحت ، الرسـم .. الكلمـة عندما قلناها تجىء فيهـا الغناء ، وتجىء فيها المسائل البتدخل فيهـو .. لكـن كثيرة ، ويمكـن للانسان أن يقـول : الاصل فيها كلهـا الصورة .. الاصـل فى الفنون الصورة . ويمكن أن اقول : انو الصورة — الرسـم — يمكن أن يكون أبو الفنون كلها .. جائز ، فى نفس الوقت ، نشأت الموسيقى .. ما من شـك انو قبل ما تتطـور الموسـيقى ، بفنونها المختلفـة ، وعلميتها ، ودقتها ، كانت نشـأتها بدائية ، كبدائية نشـأة **الصورة ، والرسم** .. الصورة هى فى الحقيقة قيمتها فى الفهـم ، وفى الادراك ، اكبر من قيمة الموسـيقى ، واكبر مـن قيمة الشـعر ، والنثر ، والمسائل الأخـرى المشاكلة لهـا .. والصورة انما عرفها الانسان والفها مـن الاحلام .. الاحلام صور .. انت لمـا تحلم حلمه بتشوف صور متحركة .. الصور ذى ، عند التأويل ، تنقلب الى معانى . من بدرى الصورة ، فى الحلم ، صحبت الانسان .. لعله مـن مجرد ما بدأ يكون انسان ، وينقسم .. الحيوان ينام ، ولكنه ما بيحلم .. والانسـان ينام ولكنه بيحلم . مافى عبرة بأنو ما بتذكر الحلم ، عندما يصـحى ، فانه ، **وان اصبح ناسى** ، هـو بيحلم .. لكـن فى احلام بيذكرها ، وفى احـلام بينساها .. فى احلام صافية ، وفى احلام مشوشة ، ومخلوطة .. ولكن ، مهما كان الامـر فان الصورة قـد كانت أول اسـلوب تعليم واسـلوب تعبـير للانسان .. لعلنا ، نحـن البشر ، اتعلمنا عـن الدين ، وعـن الحياة

الاخرى ، مـن الصـور ، ومـن الاحلام ٠٠ وبكل بساطة ، الانسـان الاول لمـا كان بيرى أن أبوه المـات ، بيراه بيعمل فى عمـل زى العمل الكان بيمارسه فى حياته ، شـايل طوريته يزرع ، أو شـايل حـربته يصـيد ، أو بيعمل عمـل فى بناء بيت ، صـور زى دى أعطتنا الفهم الاولانى عـن الحياة الاخـرى ٠٠ ثم توكد هـذا الفهم حتى جاء الوقت الذى اصبح الناس فيه متأكدين من الحياة دى ـ متأكدين حتى انهم كل ما يحتاج اليـه الانسـان فى حياته يدفنوه معـاهو عنـدما يموت ٠٠ الصور دى ، هى المستمرة لغاية الوقت الحاضر ، فيما نصور نحـن الاشياء ٠٠ والمعـانى المجـردة ما ها معـانى مجردة ، الا لأن ادراكنا ليهـا قاصر ، ورؤيتنا لصورها عاجزة ٠٠ العقل القوى بيدرك المعنى المجـرد كأنما هـو صورة مجسدة ٠٠ النشأة دى اذاً نشـأة قديمة جداً ، صحبت الانقسام الاولانى ، بين العقل الواعى ، والعقـل الباطن ٠٠ الاحـلام عبارة عـن محاولة العقـل الباطن ـ الذى هو ، بايجاز ، الجسد القبيل قلنا عنه ما بيخطىء ٠٠ الجسد وقع عليه كبت ، فى معنى ما وقعت سـيطرة العقل علـى الشهوة عنـدما دخل الانسان مرحلة الانسانية ٠٠ الكبت دا عنـدما يرفع ـ الكبت البمارسه العقـل الواعى علـى العقـل الباطن (العقل علـى الجسد) ـ عندما يرفـع بالنوم ، العقل الباطن (الجسد) بيحاول أن يعبر عـن وجوده بالصور البنسميها نحـن الاحلام ٠٠ اذا كان الانسان شاف فى الاحلام الصور بالصورة دى ، يمكنـك ان تـدرك ، بصورة واضـحة ، أن الرسم ـ التصوير تابع ليهو ـ هو أصل الفنون ٠٠ وبمجرد من ان الانسان عرف كيف يعبر ، كان التعبير بالصوت ، وبالاشارة ، وبالصورة ، ومما لا شك فيه ان الانسان الأولانى كـان ، فى اغلب الاحيان ، بيرسم الحيـوان البيصيده ، وكان فى فكرة ، ان رسـم الحيوان البيصيده يعطيه قـوة روحية وسحرية تعينه عليه ٠٠ الحيوان الانت رسمته دا ، أن كان رسمته

فى الارض ، أو فى جدار الكهف ، انت بتصيده •• ويمكـن للانسان أن يقـول ـ ودا على التحقيق ـ ان الحروف الأبجدية التى نحـن ، فيما بعد ، أخذنا نكون منها الكلمة ، هى صورة مـن تطوير هـذا الرسـم الأولانى •• يعنى انت اذا كنت عاوز تعبر لى أنا عن تور ، بترسم لى التور •• ما فى عبرة ، بطبيعة الحال ، بأن الرسم دا دقيق أو ما دقيق ، لكن المهم انى أنا بفهم عنك ما تريده •• بعض الناس يجيدوا الرسم ، وبعضهم ما بجيدوه ، لكن ، على كـل حال ، العبارة بتجىء •• قليل ، قليل ، تمشت العبارة ، وتطورت ، وبدل انت ما ترسم التور كله ، يمكنك أن ترسـم رأسه والقرنين ، وأنا افهـم عنك •• ما فى داعى لرسـم باقى الجسم ••

الموســـيقى :

تطـويراً مـن الصور جات الحـروف •• الحروف الابجـدية ، فى كل لغـة من اللغات ، هى تطـوير لصور كـان الانسان بيخططها ، وبيرسـمها فى الاول •• اذن الرسم ، هـو بالصورة دى ، أول الفنون وأهمها •• تجىء مسألة الموسيقى •• الموسيقى برضـها قديمة •• هى قديمة ، قدم الصورة لانها الحركة •• الموسيقى هى الحركة التى بها برز الوجـود •• مـن دى جات موسيقى الصوت الموقـع وموسـيقى الآلات ، ومشينا نحـن فيها نطورها لى قدام •• فالوجـود دائما فى ثنائية ، بالصورة دى ال نحن شايفنها •• مثـلا ، الليل بيعقبه النهار ، فهما نغمتان ، مثلا ، نحن بنمشى على رجلين ، بالصورة البنمشى بيها ، كـأنما هما نغمتان •• كذلك ضـربات قلوبنا ، هما نغمتان •• بعـدين الانسان لما تقدم لى قدام ، حاول ان يملأ بالنغم المحسوب ، الهادىء ، المسافة ما بين هاتين النغمتين •• قل ان شئت حاول الانسان بطـريقة علمية ، وحسابية ، أن ينتقل بين النغمتين الاولى ، والثانية ، انتقـالا

هادئا ، منسجماً ، منغماً ، من غير شذوذ ، ولا نشاز •• وهذا ما يسمى بالسلم الموسيقى • فالسلم الموسيقى قد توصل اليه بأخذ خيط يشد أوله من هنا ، واخره من هناك ثم يضرب ضرباً خفيفاً وتقاس ذبذبته ، ثم يقسم نصفين ، وبعدين يضرب ضرباً خفيفاً ، ويشوفوا الذبذبة بتاعته وتقاس ، ثم يقسم الى أثلاث ، وأرباع ، ثم تقاس الذبذبة وهكذا •• السلم الموسيقى جاء من حاجة زى دى •• وكذلك ملئت الفرقة بين النغمتين الكبيرتين •• زى دى ضربة قلبك الاولانية والثانية •• الفرقة دى تملأ بنغمات هادئة وموزونة تصعد على السلم الموسيقى السليم •• ولذلك الموسيقى عريقة بالصورة اللى يمكن للانسان أن يقول انها تضارع الرسم ، لكن ادراكها جاء متأخر اكثر •• اذا جينا نحن للنحت برضو قديم •• الغناء قديم ••

الفنون والأديان :

لكن يمكن للانسان ان يقول : أنه ما من فن من الفنون ، الا ونشأ فى معابد الدين •• أصلو ما عرف دين ، ما فيهو موسيقى •• يجوز مسألة الرسم ، والنحت ، فى بعض الاديان ما فى •• **لكن الموسيقى** ، بصورها المختلفة ، ما عرف دين ما عندو ، حتى ولو كان الايقاع البكون بالطبل ، أو بكون بالطار ، أو بكون بالنوبة ، الى ان يجيء « للاورقن » بتاع الكنيسة ، بالصور المختلفة فيه •• لكن ما من شك فى ان الصلة كبيرة بين الفنون وبين الاديان •• والسبب فى علاقة الفنون بالاديان ، هو ان الأديان تعبير ، زى ما قلنا قبيل •• الملكه الفينا ، عاوزة التعبير **هى الحياة** ••

نشأة الأديان :

الاديان نشأت من تجاوبنا مع البيئة •• الانسان الاول عندما شاف البيئة الحوله ، والقوة الهائلة الفيها ، استطاع ، بذكائه الفطرى البسيط ، أن يرى انو القوة فى البيئة المحيطة بيهو ، يمكن تقسيمها الى قسمين :ـ

فى قـــوة هائلة ، رهيبة ، كبيرة ، شـــــعر مـــن الاول انو ما عنـــدو بيها قدرة •• وفى قوة بسيطة ، مثل الحيوان المفترس ، أو العدو •• المشاكل البتقع فى المستوى دا هـــدته الى أن يتفنن فى الحيل لمواجهتها ومقاتلتها •• وكذلك فعل ••وا ما القوى الهائلة، فقد حاول أن يوجد نوع مـــن الموافقة بينه وبينها •• حاول أن يوجد نوع مـــن الصـــداقة •• حاول يتملقها •• حـــاول يعبدها •• دى كلهـــا صور مـــن الحيلة وعنها نشأت العبادة •• نشأت العبادة نشأة ســـاذجة •• الواحـــد يحب ان يقـــول ، ودى نقطة بتحتاج لتوكيد ، أنو الانبياء ما جو ليقولوا لينا ، « الله فى » •• لـــى دى نحـــن مـــا محتاجين •• نحـــن البشر ، ما محتاجين لان يورونا أنه هناك قـــوة هائلة نحـــن بازائها قاصرين ، وعـــن منـــازلتها عاجـــزين ، وأن مـــن الواجب ان نوجـــد نوع مـــن المصالحة معها •• ســـميها ما شـــئت •• ما مـــــن شك اننا نحـــــن ما سميناها بالصور المجـــردة مـــن الاسماء التوحيدية •• الرسل جـــو لى دى •• الرسل جو ليعرفونا صفات الله ، واسماءه ، لكن ، للشعور به ، فقـــد وجدوا الاستعداد عنـــدنا مركوز فى فطرتنا •• اننا بنعرفه بمعنى اننا بنحس بيهو ، لكـــن صفاته ، واسماؤه ، وافعـــاله ، لكـــن المعـــانى المجـــــردة فيها ، البتخرجنا مـــن التجسيد فى العبـــادة الى التجـــريد ، دا هـــــو ما مـــــن اجله جاء الرسل • فلـــذلك الانسان الذكى ، والعـــارف ، يشعر بان الدين نشأ نشأة فطرية ، وفى الارض ، وسابق للرسل •• ولعـــل الرسل السابقين للاديان هم رسل العقـــول ، مش رسل البشر •• العقـــول دى أدركنا بيها وجـــود الله ادراكـــات ســـاذجة ، وبدائية •• هنا عبرنا عـــــن مخاوفنا بازاء القوة الهائلة ، فكان الـــدين •• ومن اجـــل دا العـــلاقة الكبـــيرة بين ملكة التعبير ، وبين الدين ، وبين استخدام الدين لوسائل التعبير المختلفة فى الفنون •• قررنا ان الموسيقى كانت نشأتها قديمة جدا •• ونقرر هنا عـــن النحت

برضـــو .. الناس كانوا بينحتو الالهه كأصـــنام ، مـــن بدرى خالص ، قبل ما يجيء اساتذة الفنون ، مـــن اليونان ، ومـــن الرومان ، ومـــن غيرهم ..

النحـــت والعبـــــادات :

النحت الساذج كـــان محاولة لتجسيد ما يتصوره الانسان عـــــن الله .. ودايماً الانسان بيتصور الوجود فى صورته ، حتى الله ، نحن بنصوره فى صورتنا .. وكذلك حكمته الالهية جات علـــى السنة الرسل لتعطيه صـــفات زى صـــفاتنا ، فلو لا أن الصفات مشتركة بيننا وبينه ، ما بنعرفه .. فى الغالب الأعم ، يمكنك أن تطلق المسألة دى ، ان النحت كان قد نشأ لنجسد بيه الصورة البنعبدها نحـــن ، فى حيز نقدر نحيط بيهو ، ونعرفه ، وندركه ، ودا ما سمى بالأصنام .. وما فى عبادة من العبادات الا ونشـــأ التجسيد فى معابدها ، النحت والفنون الاخرى .. الواحد يمكن أن يقـــول انها كلها فى البداية وجـــدت ملكاتها الأولى ، ثم تطـــورت ، بصور مختلفة ، فيما بعـــد ..

الحيـــاة والفنـــون والجمـــال :

اذا كان قلنـــا : الفنون هى وســـيلة التعبير عـــن ملكة التعبير فينا ، يبقى ملكة التعبير دى عاوزة شـــنو ؟؟ ملكـــة التعبير (الحياة) عاوزة أن يكـــــون فى تنغيم للحيـــاة ، عاوزة أن تكســـر ، وتطـــامن ، الشذوذ ، والنشوز ، الفى الحياة ، عـــاوزة تناســـق ، عـــاوزة جمال ، ان شئت .. لانه ، فى الجمـــال ، النفس البشرية بتجـــد طمأنينتها ، بتجـــد راحتها ، بتجـــد خروجها مـــن شذوذ المغـــامرة ، والمخـــاطرة ، والمفاجأة .. يعنى النغم الموســـيقى المنســـجم يريـــح انفســـنا لانو بيوجـــد ، فى الـــداخل ، طمأنينة تخـــرج مسألة الانزعـــاج البيجيء بالاصوات الصـــاخبة ، المفـــاجئة ، النشاز ، زى مـــا بنسميها .. كـــل

صورة فنية من صور التعبير محاولتها هى أن توجد الجمال ..
الفنون بشتى وسائلها ، وطرقها ، محاولتها انما هى أن توجد الجمال .. اذا كان الانسان سأل عن الجمال : هو شنو ؟؟

ما هو الجمال :

اذا كان قلت : ان الجمال هو التناسق ، مثلا ، فانت على حق ، ولكن ما كل الحق .. أنا أحب أن أقترح حاجة هى فى البداية فى الموضوع ، اقترح ان الجمال هو العدل الانسانى .. العدل الانسانى يمكنك ان تقول عليهو جمال .. زيد عن العدل الانسانى .. تعال فى المحبة الانسانية ، المعيشة مع الناس فى سلام — السلام .. أنا أحب أن اقدم ليكم النقطة دى لتكون هى نقطة اعتبار . ما من شك أنا عندى أن الجمال هو السلام .. بعدين نحن ما بنصل للسلام مع الآخرين الا اذا كنا فى سلام مع أنفسنا .. السلام مع انفسنا معناهو اخراج النشاز القائم فى البنية البشرية .. البنية البشرية مقسومة .. القسمة الأولانية ، القبيل قلناها .. ولولا أن الانسان انقسم ، لما اترقى ، فى المكان الاول .. الحيوان ما منقسم ، الطفل ما منقسم ، الا بما ورث . لكن ، فى عمره البيعيشه فى بداية حياته ، ما منقسم ، لكنو وارث للانقسام ، وبيعيش فى المجتمع البيقسمه ، ماشى لينقسم .. فلولا أن الانسان انقسم لما ترقى ، ولما كمل .. انقسامه بيمثل انو عندو رغائبه الأولانية البسترسل فيها كحيولن ، ما بيقيف عند حد .. ما فى ضابط ، الا تحصيل اللذة ، والفرار من الألم .. واستمر الاندفاع دا ، ولكنه عندما جاء الانسان ليكون بيعيش فى مجتمع ، وجاء العرف ، وجاء القانون ، وجاء الحلال والحرام ، اللى نحن نوشك أن ندخل فى الكلام عنو ، فيما سنتحدث عن الاسلام ، لما جاء الحلال والحرام ،

أو قل ، ان اردت الدقة ، لما جاء العرف الأولانى (يمكن دا تجوز كثير فى استعمال الكلمة ، لما نحن نبدأ فى البدايات) ، لكن مجرد أن يكون فى عرف يقول انو دا يعمل ، ودا ما يعمل ، بدأت الشخصية البشرية تنقسم ، بمعنى انو انت اصبحت فى حاجة تضبط اندفاعاتك الأولانية ، الكانت قبيل عندك مندفعة بدون ضابط •• رغائبك كلها ما فى استعداد لان تستجاب •• المجتمع عاوز حاجات ما تعمل •• انت احد رجلين بتكون •• الفرد كان فى الوضع دا احد رجلين : اما رجل استرسل ليقضى لبانته ، زى ما كانت ، وبطبيعة الحال ، بتقع عليهو العقوبة البتقع ، وهى قد كانت عقوبة صارمة جداً فى المجتمعات البدائية •• أو رجل يكون عندو مقدرة على أن يضبط نفسه •• كانت العقوبات العملت فى المجتمعات الماضية جلها من شريعة التحريم والتحليل •• العقوبات التى لا تزال عندنا الآن •• هذه العقوبات الغرض منها أن تقوى الارادة البشرية البتسيرك وفق ما يجب •• ومن هنا جاء الانقسام •• والانقسام دا مرحلة •• لولا أن الانقسام جاء ، لما ترقى الانسان •• اذا لم يزل الانقسام ، لا يكمل الانسان •• فنحن اذن بنترقى فى مرحلتين : المرحلة الأولانية هى الانقسام ، والمرحلة الثانية هى ضم الانقسام ، وتوحيد البنية البشرية الانقسمت ••

الى حد كبير ، الفنون فى التعبيرات المختلفة ، فى ابراز الجمال ، وقيم الجمال ، فى تنغيم حياتنا الداخلية ، وحياتنا الخارجية ، غرضها ان يكون الانسان مع المجتمع انسان محب للقانون ، انسان منظم ، انسان عندو سيطرة على اندفاعاته ، وعلى نفسه ، انسان يملك أن يسير بسفينته وسط الانواء فى الجماعة •• وهناك نوعان من التنغيم : تنغيم الفرد مع الجماعة •• وتنغيم الفرد مع نفسه • نحن بنحاول أن نطور الجماعة لتكون راقية ، حتى انك لمجرد تنغيمك نفسك معها ، وانسجامك فيها ، وتوائمك معاها ، تكون انت اترقيت •• ثم لابد

لك من المحاولة الفردية فى أن توجد التنغيم الداخلى بين انقسامك ، لاننا نحن لما انقسمنا قامت فينا قوة ضد قوة ـ قوة العقل الواعى (الارادة) ضد الفطرة الأولانية « الشهوة » العاوزة تحصل لذتها بكل سبيل .. نحن عاوزين نوجد التنغيم دا بيناتن .. يمكنك أن تقول : فى نغمتين نحن عاوزين نملأ الفراغ بيناتن .. زى ما قلت ليكم عن الموسيقى ، عن التعبير الفنى كله .. بالصور دى نوجد السلام الداخلى .. بالسلام الداخلى يجىء السلام الخارجى .. اذا كان الامر بالصورة دى ، فانى محق اذ قلت ان العدل هو الجمال ، وزدت على المسألة دى وقلت الخلق ، وزدت وقلت المعيشة فى سلام .. السلام هو الجمال .. أنا افتكر انو دا قمة ما نحاول نحن أن نعبر عنو .. حتى التناسق فى اعضاء الجسد اللى انت بتنحته ، دا يمكنك أن تسميه عدل ، اذا شئت .. اذا زدت عليهو ، فهى تبقى مسألة اعطاء كل عضو مكانته من الضبط ، والنسبية ، والدقة ، والقوة ، حتى لكأنك بتوجد جسد فى سلام مع بعضه ، ما متنافر .. التناسق سلام .. دا كل ما يمكن ان تهدفه ليهو الكلمة ، اذا كانت شعراً أو نثراً أو غناء .. كل ما تهدف ليهو الموسيقى .. كل ما يهدف ليهو النحت ، والتصوير .. كل ما تهدف ليهو التعبيرات فى الرقص ، وفى كل وسائل التعبير عن ملكتنا .. وهو هو كل ما تهدف ليهو العبادة أيضا .

ما افتكر ضرورى نتكلم عن الفنون اكثر من كدا ، لانو المجال مفتوح فيها لنقاش أطول .. والآن نجىء لنظرة الاسلام للموضوع دا :ـ

نظرة الاسلام الى الفنون :

أول ما يجب ان يقال انو ما فى حرام ، وحلال ، الا فى اعتبارات

الشريعة .. ما فى حاجة هى حرام فى ذاتها .. الاعيان ما فيهن حرام ، لكن الحرمة حكم .. والسر فى الحكم ان تكون عندنا الارادة البتسيرنا بين الحلال والحرام .. نأخذ من الحلال ما شئنا ، ونجتنب الحرام .. عندما تحاول تجتنب الحرام فى دوافع داخلية عاوزة منك ضبط ، وقوة ارادة ، وقوة فكر ، لتمنعك من التردى .. دى الحكمة فى الحرمة ، حيث وجدت ، من نشأة العرف الأولانى ، والى يوم الناس دا .. ما فى حاجة هى حرام فى ذاتها .. وربنا يعبر لينا عن دا ، ويقول : « ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم ، وآمنتم ؟؟ وكان الله شاكراً عليما » .. أو يقول : « قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة .. كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون * قل انما حرم ربى الفواحش ــ ما ظهر منها ، وما بطن ــ والاثم ، والبغى بغير الحق ، وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على الله ما لا تعلمون .. »

كل المحرمات من الصور الحسية انما هى حرمة بالحوالة واما الحرمة بالاصالة فانما هى عيوب السلوك .. السلوك يبدأ بالطريقة البتعيش بيها ، فى سلام مع نفسك ، وفى سلام مع الآخرين ، وهذا هو ما سميناه « التنعيم » مع المجتمع ، أو العدل ، أو السلام ــ فكل ما حرم انما حرم من اجل تربيتنا لنستطيع ان تكتمل عقولنا ، وادراكاتنا ..

الحرمة حكم شرعى :

هنا ، اذا كان الانسان شاف النقطة دى حقيقة ، وذلك كونو التحريم حكم شرعى ، والحكم الشرعى ، دائما بتوخى تسييرنا نحن فى المراقى المختلفة ، يبقى ، بطبيعة الحال ، وبالبداهة ، بننتظر ان يكون فسماحة ،

ان يكون فى تغيير فى شدة التحريم كلما تغيرت ادراكاتنا ، ولذلك الحرمة كانت غليظة فى الاول ، وبدت تقل ، وتقل ، لغاية ما هى ماشة لان تفضى الى الحل .. القرآن يقول لينا « ليس على الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، جناح ، فيما طعموا ، اذا ما اتقوا ، وآمنوا ، وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا ، وآمنوا ، ثم اتقوا ، واحسنوا .. والله يحب المحسنين » أو يقول هناك «قل لا أجد فيما اوحى الى محرماً على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة ، أو دما مسفوحاً ، أو لحم خنزير فانه رجس ، أو فسقاً أهل لغير الله به » فهذه اربعة .. ثم قال مواصلا سياقه : «فمن اضطر ، غير باغ ، ولا عاد ، فلا اثم عليه» .. الضرورة ترفع الحرمة .. المعرفة ترفع الحرمة .. لانه قد انتفى حظ النفس عند المضطر ، كما ينتفى حظها عند العارف بالله .. هنا ، اذا كان بقى واضح فى اذهاننا أنو التحريم أطوار ، وان الحكمة وراءه تربيتنا ، يجىء موضوعنا فى الاسلام .

الاسلام بيحرم النحت ، وبيحرم الرسم ، وبيحرم ، تبعاً لذلك ، التصوير .. ودى فيما روى عن ابن عباس انه قال ان النبى قال : « من صور صورة يعذ به الله حتى ينفخ فيها الروح ، وما هو بنافخ فيها ابداً .. »

صور الفوتغرافيا الحرمة قائمة فى حقها ، ولكن بصورة أخف .. حرمت الموسيقى ، وحرم الغناء ، عند بعضهم ، ما كلهم .. بعضهم بيرى أن الغناء ما حرام ، لكن ، فى عبارة ، انو لهو ، وكل ما يلهى عن الله ، عند بعض المتشددين من الفقهاء ، فهو حرام .. الحكمة فى التحريم مرحلية .. السبب فيها انو الناس ، زى ما قلنا ، كان عهدهم قريب بعبادة الأوثان ، وبالجاهلية ، ويمكن أن يحنوا الى الاوثان بالعبادة اذا ما رأوها تنحت .. برضهم كانوا قريبين عهد باللهو ، فى مواخير الجاهلية ، من

غناء ، ومن رقص ، ومن موسيقى .. حرمت عليهم المسائل دى لتعطيهم فرصة ليجمعوا انفسهم عليهم بدل التوزيع البيحصل للانسان المعرض للغناء ، للهو .. اذن يمكنك أن تقول ان الاسلام حرم من الفنون النحت ، والرسم ، والتصوير ، وكل ما يكون ليه ظل .. حرم رسم أو تصوير الانسان ، أو الحيوان ، أو الطائر ..

رسم الطبيعة غير محرم :

تسامح الشرع فى رسم الجبال ، أو رسم الشجر ، أو زخرفة الاقمشة ، بالصور اليمكن أن تكون ماها انسان أو حيوان ، أو طائر .. الغرض من التحريم أن يقطع حنين الانسان للعبادة الوثنية .. أو ، بأيجاز ، يمكنك أن تقول : ان تحريم الدين ـ تحريم الشريعة الاسلامية ـ للموضوع دا الغرض منه مرحلى .. اذا كان هسع أى واحد مننا شاف ليهو تمثال زى دا ، ما بينبعث فى ذهنه أى نوع من العبادة ، أو أى شعور بيها ، أو ميل .. الناس ، فى اول عهدهم بالاسلام ، بينبعث فى ذهنهم شعور زى دا .. لكن ما ممكن أن ينبعث فى ذهنك ، أو فى ذهنى ، ولا فى ذهن أى واحد من الناس فى الوقت الحاضر .. لذلك الحكمة فى التحريم هذا ، انما هى حكمة مرحلية ، الحكم فيها هو حكم الوقت كيفما يكون .. والسر فى هذا الحكم بينسحب على حالة عبادة الناس فى وقتهم الماضى ، كما ينسحب على حالة العبادة فى الوقت الحاضر ، ولكن لكل وقت حكمه .. فهل يمكن للانسان ، مثلا الداعى الاسلامى ، فى الوقت الحاضر ، هل يمكن له ان يقول للناس سيروا بطرق الفن الى الله ؟؟ بمعنى آخر هل الدين (الشريعة) رفع كل اعتراضه على الفنون ؟؟ تلقى انو برضو المسألة فيها نظر .. هذا النظر هو تربية الانسان الفى حاجة لتربية .. كل مبتدىء

التوزيع يضره .. اذا كان الانسان سار بالطريق الديني المرسوم ليهو ، وكانت محاولته هى أن ينحصر فى أن يوجد نتيجة بطريقة الدين ، اللى هى العبادة بالصورة الموجودة عندنا فان الفنون توزعه ، والتوزيع يضره ..

الفنون تسير الناس الى الله :

اما اذا استوى ، فمن الممكن لهذا الانسان أن يتخذ كل وسائل التعبير لتسيره الى الله .. الانسان الاستطاع أن يجد فرصة لتوجيه ، ورياضة نفسه ، حتى اصبحت عندو فلسفة حياة ــ عندو نظرة للاشياء ، عندو اتقان للتوحيد ــ ما فى شىء ، بالمرة ، يقطعه ، أو يوقفه عن الله .. النحت يوديهو لى الله ــ يسيرو لى الله ــ الموسيقى تسيرو الى الله ، الرقص يسيرو لى الله ، وكل وسائل التعبير تسيرو لى الله .. فى المرحلة الأولانية ــ فى شريعة الاسلام ــ المسائل دى حرمت .. هى محرمة بنص الحديث القريتو ليكم ، وذلك لانها بتوشك أن تخلى الانسان يحن للعبادة ــ عبادة الاوثان ــ وتلك عبادة هو قد كان قريب عهد بيها .. أما فى الوقت الحاضر ، فى المرحلة الحاضرة ، فما أحب أن اقوله هو ان وسائل الفنون كلها راح تسير الناس لى الله .. هسع ، فى الوقت الحاضر ، كل المطلوب من الناس هو ان يتوخوا ، فى أول مرة ، كيف يسيروا ، بطريق العبادة ، ليوجدوا نوع من التماسك الداخلى ، نوع من التظرة الموسعة .. بعدين كل انواع الفنون راح تكون مسيرة الى الله ..

المبتدىء يضيق عليه :

بايجاز !! التحريم فى النهج البدائى للاسلام مؤكد .. فهو ضد الموسيقي للمبتدىء ، ضد النحت ، ضد التصوير ، ضد

الرقص ، ضد كل مسألة من المسائل البتوزع المبتدىء .. اذا كان الانسان استطاع أن يحصر نفسه فى نهج واحد ، اللى هو العبادة ، ثم فى محاوله احراز التوسع (باتقان التوحيد) فى المسائل الاخرى ، من اساليب التعبير المختلفة ، والفنون اقدمها ، والكلمة اسلمها ، افتكر بيكون فى سعة فيما بعد .. لكن ، قبل ما تكون فى سعة ، القاعدة عندهم أنو المبتدىء ، زى ما بترد العبارة الدارجية : « المبتدىء ابرته ما بتشيل خيطين .. » .. المبتدىء يجب أن يكون عنده اتجاه فى الانحصار ، فهو لا يمكن ان يسمح ليهو ، فى مسألة الارتقاق بالفنون ، الا بالكلمة ، وموش بالموسيقى ، لان الموسيقى لا تعطى معنى محدد .. عندما انت يكون عندك استعداد لتدرك عن الوجود كله ، فان الموسيقى أبلغ من الكلمة ، لان الموسيقى تقول لك كل شىء عجزت الكلمة عن ان تقوله .. لكن عند المبتدىء الموسيقى بتشوش عليهو ، وأما الكلمة فانها محددة .. ولذلك تلقى ان القرآن يتخذ موسيقاه من الكلمات أولا ، ثم هو ينطلق فى موسيقى علوية ، كأنما هى موسيقى الوجود كله .. عند الكمال ، للمكتمل ، القرآن بيخرج عن كونو عبارات محددة ، ومضبوطة ، وبالصورة دى ، يبقى وحى علوى ، يعلمك كل شىء ، بدون أن يعلمك شىء بعينه ، خصوصاً المتشابه من القرآن .. فاذا كان أنا شخصياً سئلت عن النهج اللى حقو يتجه ليه المسلمون كلهم ، فى الأمر دا ، أنا اعتقد أنهم كلهم يجب أن يتجهوا للعبادة ، بالانحصار فيها ، ثم فى تفتق الذهن ، فى اثناء العبادة ، فى معانى الكلمات من القرآن ، وفى الشعر الجيد ، من الشعر العرفانى ، وباستمرار يكون فى توسع .. وكلما انت اتقنت التوحيد ، كلما قلت دائرة المحرمات عليك ، الى ان تكون انت الانسان العندو الملكة التى تتلقى العلم بالله عن كل شىء .. مافى فى الوجود شىء ما بيدعو الى

الله .. ابليس ، زى جبريل ، داعى لى الله .. الله ، فى الحقيقة ، ما عندو عدو .. لكن ، فى مرحلة الشريعة ، الوجود مقسوم الى داعى لغير الله ، والى داعى لى الله .. مما يدعو ، فى المرحلة ، لغير الله كل ادوات اللهو ، ومنها الفنون .. اذا كان انت استويت على الغاية ، بتسمع وترى الوجود كله جنود لى الله ، ودعاة لى الله ، ورسل من الله اليك تسوقك لى الله .. فاذا كنت انت فنان موهوب ولكن ما وجدت الفرصة لتنحصر فى العبادة ، لتعرف ، لتخرج من الثنائية دى بتجويد مستوى من التوحيد ، من المؤكد ان الفنون قد تسيرك درجة ولكنها راح تقطعك ، ما بتوديك لى قدام .. اذا كان فى شىء ، من العلوم المدنية ، بسير الناس الى سماحة فى الخلق ، الى مستوى من التنغيم الداخلى ، الى نوع من العلاقة الحسنة مع الحياة ـ نوع من السعة ـ فأن ذلك الشىء لهو الفنون ، ما فى ذلك شك .. ولكن وسيلة الفنون قاصرة الا اذا تم لها التتويج بوسيلة الدين .. فكأنو ، اذن ، الاسلام فى أوله ، وفى آخره ، اعنى فى دعوته الأولانية ، وفى دعوته الثانية بيحرم هذا المستوى من الفنون ، لكن داك على التعميم ، اعنى شريعة عمومية ، ودا لكل فرد شريعته ، اعنى شريعة خصوصية .. الحاجة السليمة هى انك انت تتوجه ، وتنحصر ..

كل الفنون حلال اليوم :

انا شخصيا ما راح اكون من البوصوا انو يجىء تشريع يقول الفنون حرام .. لكن يجب ان يجى تفهيم للناس يقول لكل واحد: اذا كنت انت ما استويت ، فى التوحيد ، على درجة معينة من الاستواء ، فان الفنون بتصرفك ، وبتوزع جمعيتك ، وبتقطعك .. الفنون هى خير اساليب التسيير الى الله ، ولكن بعد ما انت توجد نوع من التنغيم الداخلى ، بتجويد التوحيد ، بالانحصار فى العبادة ، بالخروج

مـــن الدوامة بتاعة المجتمع ، وبتاعة التغييرات **المختلفة ، فى الفنون** المختلفة .. لغاية ما انت توجـد نوع مـــن القالب البتصب فيهـو نفسك ، وتصوغ اخلاقياتك ، وتجـد فلسفتك .. فـان انت وجـدت فلسفتك فى الحياة ، فانك خليـق ان تنفتح علـــى كل الفنون ، وكلهـا بتسيرك لى الله ، وسـيكون عندك حظ موفور مـــن ادراكها .. وقـد يكون عندك خط مـن تجـويدها ، اذا كنت فنان ، بكل وسـائل التعبير فيهـا ، باكثر مما يكـون عنـدك قبل ان توجد هـــذا النوع مـــن التربية الداخلية .. مـــن اجـل دا ، انا افتكر ، العبارات الكثـيرة الواردة فى الدعوة الى تنزيه القرآن ، وانه ما هـــو شعر .. القرآن يشبه الشعر ، وما هو بالشعر : «وما علمناه الشعر ، وما ينبغى له !!». وانت ، اذا جيت لدقائق القرآن ، فانه الشعر !! **و اكثر من الشعر!** ولكن ملابسات الشعر فى عدم الالتزام ، وعدم الصدق ، هى ما نفـاهو الله عـــن القرآن ..

الاخـــلاق والفنـــان :

انا افتكر برضو الفنان ، كائناً مـــن كان ، **سواء اكان نحات ، او** موسيقار ، أو مصـــوراتى ، أو راقص ، أو ممثل ، بتلقاهو ما هـــو ملتزم ، ما عنـدو خلقية معينة ، اللهـم الا خلقية بيعتقد ان الفـــن بيســتلزمها .. الخلقية الأنا بقصدها انما هى الصـدق فى مستوى الفعل ، القبيل انا قلته ــ الصدق الذى يتحد فيه الفكر ، والقبـــول ، والفعـل .. انا ما بعتقد ان الفنـان ما عنـدو قيمـة خلقية فى نفسه يلتزمها ، لكن ، ما من شك ، انو موش فى مستوى الانضباط اللى نحن بنقصده .. لعل الفنان ، الموزع بالصورة دى ، بتلقاه يظهر بمظهر البهدلة كدا .. يرسل لحيته بصورة بدون تهذيب ، ولا تنظيم ، أو يلبس ملابس **مهزأة ، أو يكون ماسائل فى** النظام ، أو فى رأى المجتمع .. قد يكون،

انا افتكر ، انه هـو بيبحث عـن قيمة • انا بحب ان اهـديه للقيمة دى ، هى فى العبادة والقرآن •• سيجدها حاضرة حين يتجـه للالتزام بادب القرآن — ادب شريعته وادب حقيقته ••

هنـا اقف ، واترك ليكم الفرصة للنقاش •• اكثر مـن كدا كتـير عندنا مما يمكن ان يقال ، ولكـن ، ما مـن شك ، انكم بتعينوا كتـير بمشاركتكم فى النقاش لاجلاء القضية دى ••

شكراً